ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol 5 No.3 2021

الفنون النثرى, الوصايا والنصائح من الأدب الصوفى

*Dr.Shabana Nazar

***ABSTRACT**:*
Bequest and Exhortation (Advice), owing to its tremendous legacy, is the most important genre, among the paradigms of Sufi Literature. The goal of Exhortation is the betterment of man in this world and hereafter. Prudence and unyielding ideology are outshining traits of the people who give advices or exhorts. Bequest is one of the oldest forms of Arabic literary arts, which flourished rapidly in Arabic language that contains the Kings and Caliphates' advices, and of fathers to sons. Bequest was limited to proverbs and axioms in dark ages (pre-Islamic era), but Islam expanded its scope by including many other genres and different subjects in it. Now we recognize the genre of Bequest or Wills as being filled with the essence of Islam. Islam has lent vast variety of subjects to this genre of Sufism, such as; purification of self, parting oneself from worldly pleasures, insistence upon noble deeds which are source of salvation on the dooms day and increase the blessings, God's clemency and the possibility of His acceptance for us, so that we could enter the paradise, etc. Therefore, when a Sufi exhorts, his aim is to prepare the human beings for judgment's day, and to inculcate the spirit of piousness and goodness of conduct which is mandatory for the final salvation. There are innumerable efforts of Sufi's in this literary genre. In this paper, I have presented the effortful works of Sufis of great stature, such as; Zu-n-Noon Almisri, Imam Junaid, Al-Hassan Albasri, Ibn-e-Arabi, Ibrahim Bin Adham and Sufiyan Alsuri etc.

***Key Words:** Sufi Literature, Bequest, Exhortation, purification of self, Zu-n-Noon Almisri.*

الوصايا معناها اللغوى كما قال صاحب " لسان العرب " : أوصى الرجل و وصاه : عهد اليه . و الوصية : ما أوصيت به ، و سميت وصية لاتصالها بأمر الميت ." و في القرآن الكريم قول الله عز و جل :

"((يُوْصِيْكُمُ اللهُ فِيْ اَوْلَادِكُمْ))"(١)

معناه يفرض عليكم لأن الوصية من الله انما هي فرض على الانسان ، و الدليل على ذلك قوله تبارك و تعالى:

"((وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِيْ حَرَّمَ اللهُ اِلَّا بِالْحَقِّ ط ذٰلِكُمْ وَصّٰكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ))"(٢)

و هذا من الفرض المحكم علينا . و قوله تعالى :

"((أَتَوَاصَوْا بِهٖ))"(٣)

قال أبو منصور :" أي أوصى أولهم آخرهم ، والألف ألف استفهام ، و معناها : التوبيخ"(٤). و في الحديث :

---

*Assistant Professor, Department of Arabic The Islamia University of Bahawalpur

"((استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان))"(٥)

و النصائح لغة كما جاء في " لسان العرب " : " نصح الشيء : خلص . و النصح : نقيض الغش مشتق منه نصحه و له نصحا و نصيحة و نصاحة و نصاحة و نصحا ، و هو باللام أفصح " ؛ كما قال الله تعالى :

"((وَاَنْصَحُ لَكُم))"(٦) .

و يقال: نصحت له نصيحتي نصوحا أي أخلصت و صدقت ، و الاسم النصيحة. و في الحديث :

"((ان الدين النصيحة لله و لرسوله و لكتابه و لأئمة المسلمين و عامتهم))" (٧) ؛

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol 5 No.3 2021

قال ابن الأثير: كلمة النصيحة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للرجل المنصوح لـه ، فلا يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها . و أصل النصح : الخلوص . و نصيحة الله معناها :صحة الاعتقاد في وحدانيته و اخلاص النية في عبادته.(٨)

و في الاصطلاح : النصائح لون من ألوان النثرالصوفي ، مادتها غزيرة و تصويرها و بيانها رائعة. امتاز الفاظها ومعانيها بالقوة. هدف النصائح لما ينفع الانسان في دنياه وآخرته.والنصائح لا تصدر الا عن الناس الذين عرفوا بالحكمة وأصالة الرأى. وهى توجه الى من يراد توجيههم الى صالح الأعمال. والوصايا من الفنون القديمة التى عرفتها البيئات العربية. فالقرآن الكريم يحدثنا ان لقمان قال لابنه وهو يعظه:

"((يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَ صَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ *))"..... الى آخر الآيات . (٩)

وشاع كذلك في الآداب الفارسية ـ ومن آثاره المشهورة عن الفرس في هذا اللون كتاب "أرد شيربن بابك" الى ابنه. وقد ازدهر هذا الفن في اللغة العربية وحصل على أكثر ايجاب الحياة ، فهناك وصايا الخلفاء والملوك ، وهناك وصايا الآباء للأبناء وقد صار هذا اللون مما يتبارى فيه الكتاب والشعراء (١٠).

اتفق المؤرخون على أن الوصية في العصر الجاهلي تشتمل على حكم وأمثال ونظرات وخواطر فقط ، الكبار ينصحون بها الصغار ليجنّبوهم العثار، و وسع الإسلام آفاق الحياة ، فلّذا اتسعت باتساعها موضوعات الوصايا أيضا، وأخذت تتشعب إلى أقسام وأنواع، تزداد انواعهاً وازدهارهاً مع تطورالحياة ، وترقي الحضارة ، وتعدد أوجه النشاط في حياة المجتمع العربي الإسلامي ، وصار كل وجه من أوجه النشاط بنوع من الوصايا.

ومن الجديربالذكر أن هذا التقسيم ليس دقيقاً وليس حاسماً في فصل بعض الأغراض عن بعض ، بل أبقى حدوداً مشتركة بين هذه الاقسام ، وفتح نوافذا ومعابرا في جدران هذه الحدود ، تنفذ منها الأفكار العديدة، وتعبرمن قسم إلى قسم فتلابسه. إننا نجد أنواع الوصايا العديدة تصطبغ كذلك بالصبغة الدينية للسبب الذي ذكرناه أكثر من مرة ، وهو أن جميع أوجه النشاط الإنساني في حياة المجتمع الإسلامي متصلة بالدين على نحو من الأنحاء .

لم يعد هذا ضرب الوصية الدينية من الوصايا اجتماعياً ، ولو انطوى على توجيه إصلاحي، هدفه تهذيب الأخلاق ، وتربية الموصى إليه ـ بل يعده دينيا لأن القدرالبسيط من نصائحه يهدف غسل النفس من أوضار الآثام ، وتبغيض الدنيا إليها ، وإعدادها للخروج منها بالصالحات الكثيرة الوافرة ، التي تثقل ميزانه في الآخرة، وترجح كفة الثواب يوم الحساب ، وتمهد امامها الطريق لعفوالله ومرضاته ، ثم تبلغها جنته (١١)

والوصايا تدور نحو التذكير بحقارة الدنيا والترغيب فى الأعمال الصالحة وغايتها اصلاح القلوب فالصوفى حين ينصح فانه يهدف ويفكر فى اعداد النفوس ليوم الحساب والتزود للآخرة بالتقوى والأعمال الصالحة. ومن كانت النار وراءه له زفيروشهيق فانه لايتوجه الي الأزهار التى تزدهر فى طريقه. و فى هذا اللون للصوفياء من روائع الكلم الشىء الكثير.

وصايا ذى النون المصرى :

هو ثوبان بن ابراهيم الاخميمى المصرى ، أبو الفياض ، أو أبو الفيض (المتوفى: ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)(١٢) ، أحد الزهاد و العباد المشهورين ، من أهل مصر . كان اشتهر بفصاحة و حكمة و شعر.

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol 5 No.3 2021

و هو أول من تكلم بمصر حول ((ترتيب الأحوال و مقامات أهل الولاية)) (١٣). كلامه مثل أعلى للحكمة . وله ثروة كثيرة في وصايا و نصائح التى نموذج أعلى للأدباء الصوفيين.

فذوالنون المصرى كان يوصى بعض اخوانه بالقناعة والرضا وعدم الحرص على الدنيا. و كان يدعو الى التزود بالتقوى. فيقول:"يا أخى: اعلم أنه لا شرف أعلى من الاسلام. ولا كرم أعز من التقى ولا عقل أحرز من الورع ولا شفيع أنجح من التوبة. ولا لباس أجمل من العافية. ولا وقاية أمتع من السلامة. ولا كنز أغنى من القنوع ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقناعة ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة. والرغبة مفتاح التعب. والاحتكارمطية النصب والحرص داع الى التقحم فى الذنوب. والشر جامع لمساوى العيوب ورب طمع كاذب وأمل خائب. ورجاء يؤدى الى الحرمان. وارباح يؤول الى الخسران"(١٤).

ولذى النون أيضا وصية تدعو الى الصبر والاعتماد على الله والثقة به. فقد قابله رجل وقال له: "زودنى بكلمة. قال:لا تؤثرن الشك على اليقين. ولا ترض من نفسك بغير التذكير. وان تأتك نائبة الدهر فتحملها بحسن الصبر. وارم بآمالك نحو الدائم الخبير تجده بآمالك قائما. واغتنم مواصلة الله تعالى. فإن لله تعالى عبادا ألفوه فاستأنسوا به. وعرفوه فأملوه على معرفته. وواصلوه على عين يقين. فسمت أبصارهم نحو عظيم ، جليل قدرته. فسقاهم من حلاوة مواصلته. وألعقهم من لذاذة مخالصته. فلبكائهم حول العرش دوى . ولدعائهم حنين تتقعقع أبواب السماء لسرعة تفتحها لاجابة دعائهم"(١٥).

وصية الجنيد:

والجنيد سيد الصوفية (المتوفى سنة ٢٩٧ه / ٩١٠م)(١٦) ، هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى الخزاز ،أبو القاسم: صوفي ، كان من علماء الدين . ولادته و نشأته و وفاته ببغداد. قال أحد معاصريه : لم يرى عيناه مثله ، يحضر الكتبة مجلسه لألفاظه و الشعراء لفصاحته و المتكلمون لمعانيه . و هو أول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد . و قال ابن الأثير فى وصفه : امام الدنيا فى زمانه . و عده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب و السنة ، و لكونه مصونا من العقائد الذميمة، سالما من كل ما يوجب اعتراض الشرع . من كلامه : "طريقنا مضبوط بالكتاب و السنة، من لم يحفظ القرآن و لم يكتب الحديث و لم يتفقه لا يقتدى به" . (١٧)

كان يوصى الجنيد بالمبادرة الى صالح العمل قبل فوات الأجل وأخذ العبرة من الماضيين يقول: يا أخى: فاعمل ثم اعجل قبل أن يعجل الموت بك. وبادر ثم بادر قبل أن يبادر اليك وقد وعظك الله فى الماضين من اخوانك والمنقولين من الدنيا من أقرانك وأخدانك. فذاك حظك الباقى عليك. والنافع لك. وكل ما سوى ذلك فعليك لا لك. وهذه موعظتى لك وصيتى اياك. فاقبلها تحمد الأمر بقبولها وتفوز باستعمالها والسلام(١٨).

وذكرالدكتور على الخطيب في كتابه : من الذين برزوا في هذا الفن أحد منهم الحسن البصري رضي الله عنه(١٩) هو الحسن بن يسار البصرى ، أبو سعيد (٢١ه /٦٤٢م - ١١٠ه / ٧٢٨م)، كان تابعى، امام أهل البصرة، و حبر الأمة فى زمنه. و هو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ، و عظمت هيبته فى القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم و ينهاهم ، لا يخاف فى الحق لومة. قال الغزالى: كان الحسن البصرى أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء ، و أقربهم هديا من الصحابة. و كان غاية فى الفصاحة تتصبب الحكمة من فيه. (٢٠)

ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب اليه : اني قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لي أعوانا يعينونى عليه. فأجابه الحسن : أما أبناء الدنيا فلا تريدهم ، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله.(٢١)

و روي أن عمربن عبدالعزيز رضي الله عنه ، لما تولى خلافة كتب الى الحسن البصري ان يكتب اليه بصفة الامام العادل ، فكتب اليه الحسن البصري رضي الله عنه بقول:

اعلم يا امير المؤمنين أن الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائروصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ، والامام العادل يا أمير المؤمنين: كالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا و يعلمهم كبارا، والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على ابله الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعي ويذودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر ، والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol 5 No.3 2021

الرفيقة بولدها حملته كرها ، وربته طفلا، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه ترضعه تارة ، وتفطمه أخرى ، وتفرح بعافيته ، وتغتم بشكايته .

والامام العادل يا أميرا لمؤمنين كالقلب بين الجوارح تصلح الجوارح بصلاحه ، وتفسد بفساده ، والامام العادل ياأميرالمؤمنين هوالقائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظراليه ويراهم ، وينقاد الى الله ويقودهم ---الخ(٢٢)

وهذه رسالة امتازت بالشجاعة النادرة من موجهها وهوالحسن البصرى الى طالب النصيحة وهوعمربن عبد العزيز الخليفة الأموى الزاهد رضي الله عنه بين الحسن فيها أن الامام العادل يقوم الموج ، وينصح الغافل ، وهو كالراعي يبعد أمته عن مزالق الهوى ونوازع الشر ، ويعض على اسعادها وكالأب الحنين الذى يكدح في الحياة من أجل سعادة أولاده فهو يفرح لفرحهم ويغضب لغضبهم ومن كانت هذه الخلال شيمته ، وتلك السجايا ديدنه تسعد أمته ، وترتقي سلم المجد.

وتمتاز الرسالة بجمال الأسلوب ، وبلاغة المعنى ووضوحه ، وجزالة الألفاظ وقوتها ومتانة نسجها ، وحسن صياغتها كما جاء أسلوبه مسترسلا يميل الى الإطناب حيث ضرب كثيرا من الأمثلة لتقرير المعنى وتوكيده الى ذهن السامع.

نصيحة ابن عربى:

و من أدباء التصوف الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي (٥٦٠هـ / ١١٦٥م ـ ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) الذى برز فى هذا الفن (٢٣) . هو محمد بن على بن محمد ابن عربي، أبوبكر الحاتمى الطائى الأندلسي ، المعروف بمحي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر. هو فيلسوف ، من أئمة المتكلمين في كل علم . و هو ، كما يقول الذهبي: قدوة القائلين بوحدة الوجود . (٢٤)

وكتب الشيخ الأكبرمحي الدين بن عربي الى السلطان الغالب بأمر الله ينصحه ويوجهه ، وكان السلطان قد بعث اليه برسالة سنة تسع وستمائة وجاء في رسالة ابن عربي:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصل الاهتمام السلطاني الغالب بأمرالله أدام الله عدل سلطانة إلى والده الداعي له محمد بن العربي فتعين عليه الجواب بالوصية الدينية ، والنصيحة السياسية الإلهية ، على قدرما يعطيه الوقت ، ويحتملة الكتاب إلى أن يقدر الاجتماع ، ويرتفع الحجاب لي أن أقول : ..... فاحذر أن أراك غدا بين أئمة المسلمين من أخسرالناس أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهويحسبون أنهم يحسنون صنعا، ولايكون - شكرك لم أنعم الله عليك من استواء ملك بكفران النعم ، واظهارالمعا صى وتسليط النواب السوء بقوة سلطانك على الرعية الضعيفة ، فان الله أقوى منك فيحتكمون فيهم بالجهالة والأغراض .وأنت المسؤول عن ذل ، فيا هذا قد أحسن الله اليك ، فأنصف المظلوم من الظالم ، ولايغرنك بأن الله وسع عليك سلطانك وسوى البلاد لك ومهدها ، مع إقامتك مع المخالفة والجور وتعدى الحدود فان ذلك الاتساع مع بقائك على مثل هذه الصفات بامهال من الحق لأعمال وما بينك وبين ان تقف بأعمالك الا بلوغ الأجل المسمى وتصل الى الدار التي سافر اليها آباؤك وأجدادك ، ياهذا ومن أشد ما يمر على الاسلام والمسلمين وقليل ماهم رفع النواقيس والتظاهر بالكفر واعلاء كلمة الشرك ، فتديركتابي ترشد ان شاء الله ما لزمت العمل به "(٢٥)

وهذه نصيحة أخرى يوجهها الصوفي الكبيرالشيخ محي الدين بن عربي الى السلطان الطالب بأمرالله دون ماتهيب أو وجل إلا من الله سبحانه فجاءت نصيحته غاية في الجرأة والشجاعة مبينة صفات الحاكم العادل ، طالبة منه عدم الاغترار بما مهد الله له من البلاد وسواها، فانه ان لم يعدل فذلك امهل من الله وليس باهمال وسيسافرالى الآخرة كآبائه وأجداده ، فان تأملت هذه النصيحة ستكون من الراشدين .. وامتاز أسلوبه في هذه الرسالة بالصبغة الدينية وتضمين الآيات القرآنية حيث استهلها باسم الله وضمنها آيات من كتاب الله .

وتلك نصيحة أخرى يوجهها أبو النصر الطائى إلى سليمان بن عبدالملك الخليفة الاموى فيقول له : "سأطلق لسانى بما خرست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى أنه قد اكتنفك رجال أساؤوا الإختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضوا بسخط ربهم ، وخافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا فلاتأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لم يألوا الأمانة تضييعا .والأمة

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol 5 No.3 2021

كسفا وخسفا ، وأنت مسؤول عما اجترموا ، وليسوا مسؤلين عما اجترمت . فلاتصلح دنياهم بفساد آخرتک ، فان اعظم الناس عندالله من باع آخرته بدنيا غيره-"(٢٦)-

وصايا إبراهيم بن ادهم :

هو إبراهيم بن ادهم بن منصور، التميمى البلخى أبو اسحاق (المتوفي سنة ١٦١هـ /٧٧٨م) زاهد مشهور. و كان يلبس فى الشتاء فروا لا قميص تحته و لا يتعمم في الصيف و لا يحتذى، يصوم في السفر و الاقامة، و ينطق بالعربية الفصحى لا يلحن.(٢٧)

هو يحذر في وصيته من غرورالامانى الباطلة والاسراف فى حب الدنيا فيقول:

فارفض يا أخي الدنيا . فإن حب الدنيا يصم ويعمى ويذل الرقاب ولاتقل غدا وبعد غد فإنما هلک من هلک بإقامتهم على الأرض حتى جاء هم الحق بغتة وهم غافلون فنقلوا على اصرارهم الى القبور المظلمة الضيقة وأسلمهم الأهلون والولد فانقطع الى الله بقلب منيب وهزم ليس فيه شک والسلام (٢٨)

ومن وصايا التي يحذر فيها بقرب نزول الموت ووقوعه لامحالة فى حوله وبحث على الاستعداد له والتأهب بالعمل الصالح ، قوله :

"أما بعد : فان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنفس فى كل وقت نصيب ، وللبلى فى جسمه دبيب . فبادر بالعمل قبل ان تنادى بالرحيل واجتهد في العمل في دارالممرقبل أن ترحل الى دارالمقر"(٢٩)-

ومن وصايا أيضا التي يذم فيها الاقبال على الدنيا : قوله :

"ليس من اعلام الحب ان تحب ما يبغض حبيبک . فهم مولانا الدنيا فمدحناها وأبغضها فأحببناها وزهدنا فيها فآثرناها وربنا في طلبها . وعدكم خراب الدنيا فحصنتموها ونهيتم عن طلبها فطلبتموها وانذرتكم الكنوز فكرهتموها . دعتكم إلى هذه الغرارة دواعيها فأجبتم مسرورين مناديها ـدعتكم الى هذه الغرارة دواعيها ومنتكم فانقذتم خاضمين لأمنيتها تتمرغون في زهواتها . وتتمتعون فى لذاتها وتتقلبون في شهواتها وتتلوثون بتبعاتها . تنبشون بمخالب الحرص عن خزائنها وتحفرون بمحاول الطمع فى معادنها وتبنون بالغفلة فى اماكنها وتحصنون بالجهل فى مسا كنها. تريدون ان تجاوروا الله في داره وتحطوا رحالكم بقربة بين أوليائه وأصفيائه وأهل ولايته . وأنتم غرقي في بحار الدنيا . حبارى ترتحون في زهراتها وتتمتعون في لذاتها ؛ وتتنافسون في غمراتها . فمن جمعها ماتشبعون ومن التنافس فيها ما تملون. كذبتم والله أنفسكم وغرتكم ومنتكم الأماني وحللتكم بالتوانى حتي لاتعطوا اليقين من قلوبكم والصدق من نياتكم وتتنصلون اليه من مساوئ ذنوبكم وتعصوه فى بقية أعماركم .أما تعلمون أنه لاتنال جنته الا بطاعته . ولاتنال ولايته الا بمحبته . ولاتنال مرضاته الا بترک معصيته . فان الله تعالي قد اعد المغفرة للأوابين . وأعد الجنة للخائفين وأعد الحور للمطيعين وأعد رؤيته للمشتاقين "(٣٠)-

وصايا سفيان الثورى:

سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى (٩٧هـ/ ٧١٦م -١٦١هـ/ ٧٧٨م)، من بنى ثور بن عبد مناة ، من مضر ، أبو عبد الله : أميرالمؤمنين فى الحديث . كان سيد أهل زمانه في علوم الدين و التقوى .(٣١) هو الصوفي الورع الذي قيل عنه أن ليس في الحنيفية رجل مثله قد قطع الحزن كبده. له من المواعظ والوصايا ما يجمل عن الوصف. وفيها يعالج الكثير من النواحى الخلقية والانسانية ويدعوا إلى ترک الإقبال على الدنيا ومراقبة الله فى جميع الاعمال لأنه رقيب يحاسب العهاد على ماقدموا . وفيها ينهى عن مخالطة الشرور و الآثام ’لأنها تورد موارد الهلكة ثم هو بعد ذلک يجب الاكثار من البكاء والاقلال من الضحک والإتجاه إلى فعل الخيربقدرالامكان . يقول فى احدى وصايا :

"يا أخي : احزن على ماقد مضى من عمرک في غيرطلب آخرتک . وأكثر من البكاء على ماقد أو قوت به ظهرک لعلک تتخلص منها ولاتمل الخير وأهله ولاتباعد عنهم فانهم خيرلک ممن سواهم . ومل الجهال وباطلهم وتباعد عنهم فانه لن ينجو من جاورهم الامن عصم الله. وان اردت اللحاق بالصالحين فأعمل أعمال الصالحين . واكتف بما أصبت من الدنيا ولاتنس من لاينساک ولا تغفل عمن قد وكل يحص أثرک ومكتب علمک .راقب الله فى سريرتک وعلانيتک وهورقيب عليک .

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol 5 No.3 2021

واستح ممن هومعک وهو أقرب الیک من حبل الورید . اعرف فاقة نفسک وحقارة منزلتها فانک حقیرفقیر الی ربک. وابک علی نفسک وارحمها فانک ان لم ترحمها لم ترحم ولاتغشها ولاتوردها . وخذ منها لک . فانک بیومک ولست بغد ک فکأن الموت قد نزل بک ولاتغفل عقلة الغافلین والجاهلین وأکثرمن البکاء علی نفسک فلست من الضحک بسبیل ان عقلت ". (٣٢).

وهذه وصیة أخری من وصایا تسمو بالروح الإنسانی وترتفع بالخلق الکریم وتحض علی مبادئ السامیة . فیقول :

"یاأخي : علیک بتقوی الله ولسان صادق . ونیة خالصة وأعمال شتی صالحة لیس فیها غش ولاخدعة فان الله یراک وان لم تکن تراه . وهو معک أینما کنت لایسقط علیه شیئ من أمرک . لاتخدع الله فیخدعک . فانه من یخادع الله یخدعه ویخلع منه الإیمان ونفسه لاتشعر. ولاتمکرن بأحد من المسلمین المکرالسیئ فانه لایحیق المکرالسیئ الا بأهله ولاتبغین علی أحد من المسلمین فإن الله تعالی یقول :

(أَیُّهَا النَّاسُ اِنَّمَا بَغْیُکُمْ عَلَی اَنْفُسِکُم)(٣٣)

ولاتخدعن أحدا من المؤمنین فیکون نفاقا فی قلبک ولاتحسدن ولاتغتابن فتذهب حسناتک. واحسن سیرتک یحسن الله علانیتک وأصلح فیما بینک ومن الله یصلح الله فیما بینک وبین الناس . واعمل لآخرتک یکفک الله أمر دنیاک وسع دنیاک بآخرتک تربحهما جمیعا ولاتبع آخرتک بدنیاک فتخسرهما جمیعا "(٣٤).

ومن الملاحظ ان الصوفیاء قد اتخذوا من الرثاء مواقف الموعظ والارشاد ، وخاصة فی تلک المواقف التي تخشع فیها القلوب والابصاروتضیق الصدور وتنحدر الدموع . ففی المیت عظة وفی وقوعه عبرة وحینئذ ترهف الآذان والأسماع لما یلقی فی ذلک الموقف من عبر وعظات . وقد اثرت عن الصوفیاء مراث بلیغة رائعة تدل علی احساس عظیم . والهام عمیق . فمن ذلک اقوال ابن السماک (المتوفی سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٣م) مشهورة . و هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن غفیر ، أبو ذر الأنصاري الهروي : عالم بالحدیث ، من الحفاظ . من فقهاء المالکیة . یقال له ابن سماک . نزل بمکة ، و مات بها . (٣٥)

قال ابن سماک فی رثاء داوود الطائی (المتوفي سنة ١٦٥هـ / ٧٨١م) ، الذی کان من أئمة المتصوفین ، اسمه داود بن نصیر الطائی، ابو سلیمان ، أخذ عن أبي حنیفة و غیره، فاعتزل الناس، و لزم العبادة الی أن مات فیها. قال أحد معاصریه : "لو کان داود في الأمم الماضیة لقص الله تعالی شیئا من خبره "(٣٦).

وفی رثاء الذی قال ابن سماک بعد وفاته یظهر مکانته من الزهد في الدنیا ومقامه عندالله وأن متاع الدنیا قلیل والآخرة خیروأبقی . هاهی نموذج یقول فیها : (٣٧)

"ان داود رحمه الله نظربقلبه الی مابین یدیه من آخرته فأغشی بصر القلب بصر العین. فکان کأنه لاینظر إلی ما إلیه تنظرون . وکأنکم لاتنظرون إلی ما إلیه ینظر فأنتم منه تعجبون. وهومنکم یعجب. فلما رآکم راغبین مذهولین مغرورین . قد أذهلت الدنیا عقولکم وأماتت بحبها قلوبکم . استوحش منکم . فکنت اذا نظرت الیه ، نظرت الی حی وسط أموات.یا داود : ما أعجب شأنک بین أهل زمانک أهنت نفسک وإنما ترید اکرامها وأتعبتها وإنما ترید راحتها . اخشنت المطعم وانما ترید طیبه . واخشنت الملبس وانما ترید لینه . ثم أمت نفسک قبل أن تموت وقبرتها قبل ان تقبر وعذبتها ولما تعذب . وأغنیتها عن الدنیا لکیلا تذکر . رغبت نفسک عن الدنیا فلم ترها لک قدرا إلی الآخرة . فمأظنک الا وقد ظفرت بما طلبت کان سیماک في سرک ولم یکن سیماک في علانیتک . تفقهت في دینک وترکت الناس یفتون وسمعت الحدیث وترکتهم یحدثون . وخرست عن القول وترکتهم ینطقون . ولاتحمد الاخیار ولاتعیب الاشرار ولاتقبل من السلطان عطیة . ولامن الاخوان هدیة آنس ماتکون اذاکنت بالله خالیا واوحش ماتکون آنس بما یکون الناس فمن سمع بمثلک . اصبر صبرک . وعزم عزمک . لااحسبک الا وقد أتعبت العابدین بمدک سجنت نفسک فی بیتک فلامحدث لک ولاجلیس معک . ولافراش تحتک ولاسترعلی بابک . ولاقلة یبرد فیها ماؤک . ولاصفحة یکون فیها غذاؤک وعشاؤک .

یاداود : ما کنت تشتهی من الماء بارده . ولامن الطعام طیبه . ولامن اللباس لینه بلی ولکن زهدت فیه لما بین یدیک . فما اصفر ما بذلت وما احقر ما ترکت فی جنب ما أملت فلما مت شهوک

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol 5 No.3 2021

ربک بموتک والبسک رداء عملک ؛ واکثر تتبعک ؛ فلورأیت من حضرک عرفت ان ربک قد اکرمک وشرفک فلتتکلم الیوم عشیرتک بکل ألسنتها ؛ فقد أوضح ربک فضلها بک" .

وهذا رثاء فرید عرف قائله کیف یحدد خصائص من بکاء ، وفي النص نجد شیئا جدیدا لیس مألوفا عند الأدباء ؛ هو ذاتیة التعبیر. أی أن الأسلوب أسلوب شخص لصاحبه. لیس له شبیه بالأسالیب التي یستعملها غیره . الألفاظ سهلة واضحة . کل کلمة مستعملة في موضعها وفي نفس معناها وفی المقام الذی یجب ان تستعمل فیه . والمعاني قد اختیر منها ما یلائم المقام والغرض وهي مفصلة تفصیلا مع ان موقف الرثاء في أغلب الأمر موقف ارتجال لا إعداد(۳۸).

هوامش البحث و مصادره

۱۔ سورة النساء ، الآیة : ۱۱۔
۲۔ سورة الأنعام ، الآیة : ۱۵۱۔
۳۔ سورة الذاریات ، الآیة : ۵۳ ۔
٤۔ **لسان العرب** لابن منظور الافریقی ، الامام أبو الفضل جمال الدین محمد بن مکرم ، نشر أدب الحوزة ، قم ۔ ایران ، سنة : ۱٤۰۵ه : ۱۵ / ۳۹٤ ۔ ۳۹۵ ۔
۵۔ **الجامع الصحیح للبخاري** ، محمد بن اسماعیل ، تحقیق محب الدین الخطیب وزملاء ، المکتبة السلفیة القاهرة ، سنة ۱٤۰۰ه : انبیاء : ۱ ۔ نکاح : ۸۰ ،
و **صحیح مسلم** للمسلم، الامام أبو الحسین مسلم بن الحجاج بن مسلم القشیری ، النیسابوری، مطبوعات محمد علي صبیح و أولاده بمیدان الأزهر بمصر ، بدون سنة : رضاع : ٦۲ ،
و **سنن الترمذی** للترمذی، محمد بن عیسی بن سَوْرة بن موسی بن الضحاک، الترمذی، أبو عیسی ، تحقیق وتعلیق: أحمد محمد شاکر ومحمد فؤاد عبد الباقی وإبراهیم عطوة عوض المدرس فی الأزهر الشریف ، الناشر: شرکة مکتبة ومطبعة مصطفی البابی الحلبی ـ مصر ، الطبعة الثانیة، سنة : ۱۳۹۵ ه ـ ۱۹۷۵ م : رضاع : ۱۱ ،
و **سنن ابن ماجه** لابن ماجة ،أبو عبد الله محمد بن یزید القزوینی ، تحقیق: محمد فؤاد عبد الباقی ، ناشر: دار إحیاء الکتب العربیة ـ فیصل عیسی البابی الحلبی، بدون سنة : نکاح : ۳.
۶۔ سورة الاعراف ، الآیة : ٦۲ ۔
۷۔ الجامع الصحیح للبخاري : ایمان : ٤۲ ، و صحیح مسلم : ایمان : ۹۵ .
۸۔ لسان العرب : ۲ / ٦۱٦ ۔
۹۔ سورة لقمان ، الآیة : ۱۲۔۱٦۔
۱۰۔ **التصوف الاسلامی فی الأدب والأخلاق** لزکی مبارک ، الدکتور ، المکتبة و المطبعة العصریة للطباعة والنشر صیدا بیروت ـ لبنان، بدون سنة : ۸٦/۲۔
۱۱۔ **النثرفي عصرالنبوة والخلافة الراشدة** لغازي طلیمات ، الدکتور و عرفان الأشقر: دارالفکردمشق ، الطبعة الأولی ، سنة : رجب ۱٤۲۸ه/ أغسطس ۲۰۰۷م : ص : ۳۲۵۔۳۲٦۔
۱۲۔ **حلیة الأولیاء وطبقات الأصفیاء** لأبی نعیم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسی بن مهران الأصبهانی ، دار الکتاب العربی بیروت ـ لبنان : ۹ / ۳۳۱ ،
و الأعلام للزرکلي ، خیر الدین ،دار العلم للملایین، بیروت ـ لبنان ، الطبعة السادسة عشرة ، سنة :یناایر ۲۰۰۵م : ۲/ ۱۰۲ ،
و **وفیات الأعیان و انباء ابناء الزمان** لابن خلکان، ابو العباس شمس الدین احمد بن محمد بن أبی بکر ، حققه الدکتور احسان عباس، الناشر: منشورات الشریف الرضی ـ قم ـ المطبعة:امیرقم، الطبعة الثانیة:۱۳٤٦ه : ۱ / ۱۰۱.
۱۳۔ **میزان الاعتدال فی نقد الرجال** للذهبی، الامام الحافظ شمس الدین محمد بن احمد، دارالکتب العلمیة بیروت۔ لبنان، الطبعة الأولی:۱٤۱٦ه۱۹۹۵م : ۱ / ۳۳۱ ،
و **لسان المیزان** لابن حجر، شهاب الدین أبیالفضل أحمد بن علي العسقلاني ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامیة الکائنة فی الهند بمحروسة حیدرآباد دکن، الطبعة الاولی :۱۳۲۹ه : ۲ / ٤۳۷ ،
و **تاریخ بغداد** للخطیب البغدادی،الحافظ ابوبکر احمد بن علی الخطیب البغدادی ، دارالکتب العلمیة بیروت ـ لبنان،الطبعة الرابعة:۱٤۰٦ه۱۹۸٦م : ۸ / ۳۹۳ ،
و الأعلام : ۲/ ۱۰۲ ، و حلیة الأولیاء : ۹ / ۳۳۱ و ۳۱۰ .
۱٤۔ **اللمع** للسراج ، أبونصر ، تحقیق الدکتورعبدالحلیم ، لجنة نشرالتراث الصوفي سنة : ۱۹٦۰م ، ص : ۳۳۵۔
۱۵۔ اللمع ، ص : ۳۳٦۔
۱٦۔ وفیات الأعیان: ۱ / ۱۱۷، و حلیة الأولیاء : ۱۰/ ۲۵۵،
و الأعلام : ۲ / ۱۳۷ ـ ۱۳۸.

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol 5 No.3 2021

۱۷۔ **طبقات الصوفية** للسلمی، ابو عبدالرحمٰن محمد بن الحسین، الناشر جماعة الأزهر للنشر والتأليف، مطابع دارالكتاب العربی بمصر، الطبعة الأولی: ۱۳۷۲ھ/ ۱۹۵۳م : ص : ۱٦٤۔ ۱٦٦ ،
و **صفة الصفوة** لابن الجوزی ، الامام أبو الفرج ، حققه و علق عليه محمود فاخوری ، دار المعرفة بيروت لبنان ، الطبعة الرابعة : ۱٤۰٦ھ/ ۱۹۸٦م : ۲ / ۲۳۵ ،
و **طبقات الشافعية الكبرى** للسبكی، الشيخ تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب ابن تقی الدين ، المطبعة الحسينية المصرية الشهيرة التی مركزها(بكفر الطماعين)بقرب المشاهد الحسينية الزاهرة المنيرة ، بدون سنة : ۲/ ۲۸ ـ ۳۷ ،
و حلية الأولياء : ۱۰/ ۲۵۵ ، و تاريخ بغداد : ۷ / ۲٤۱ ،
والأعلام : ۲ / ۱۳۷ ـ ۱۳۸.

۱۸۔ اللمع ، ص : ۳۳۷۔

۱۹۔ **اتجاهات الأدب الصوفي** ، بين الحلاج وابن عربي ، لعلی الخطيب ، الدكتور، دار المعارف القاهرة ، مصر، دارالتضامن للطباعة القاهرة ، سنة :۱٤۰٤ھ : ص : ۵۷ ،

۲۰۔ ميزان الاعتدال : ۱ / ۲۵٤ ، و الأعلام : ۲ / ۲٤۲

۲۱۔ ميزان الاعتدال : ۱ / ۲۵٤ ، و حلية الأولياء :۲ / ۱۳۱ ،
و الأعلام : ۲ / ۲٤۲

۲۲۔ اتجاهات الأدب الصوفي : ص : ۵۷۔

۲۳۔ **فوات الوفيات** لمحمد بن شاكر الكتبی ، تحقيق الدكتور احسان عباس، دارصادر بيروت، بدون سنة : ۲ / ۲٤۱ ،
و **دائرة المعارف الاسلامية** لاحمد الشنتناوی و ابراهيم زكی خورشيد و عبدالحميد يونس، دارالمعرفة بيروت ـ لبنان، بدون سنة : ۱ / ۲۳۱

۲٤۔ **مفتاح السعادة و مصباح السيادة** لطاش كبری زاده ، أحمد بن مصطفی ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولی ، سنة : ۱٤۰۵ھ/ ۱۹۸۵م : ۱ / ۱۸۷ ،
و **جامع كرامات الأولياء** للنبهانی، يوسف بن اسماعيل، المكتبة الشعبية بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ۱۹۷٤م/۱۳۹٤ھ : ۱ / ۱۱۸ ،
و الأعلام : ٦ / ۲۸۱ ، و فوات الوفيات : ۲ / ۲٤۱ ،
و ميزان الاعتدال : ۳ / ۱۰۸، و لسان الميزان : ۵ / ۳۱۱ ،
و دائرة المعارف الاسلامية : ۱ / ۲۳۱.

۲۵۔ **الفتوحات المكية** لابن عربي، محي الدين، الشيخ الاكبر، دارصادر بيروت، بدون سنة : ـ ۷۷/۱ ـ .
واتجاهات الادب الصوفي ، ص : ۵۸۔۵۹۔

۲٦۔ **زهر الآداب و ثمر الالباب** للحصری،ابو اسحاق ابراهيم بن علی الحصری القيروانی ، داراحياء الكتب العربية، عيسی البابی الحلبی و شركاه، الطبعة الأولی:۱۳۷۲ھ/ ۱۹۵۳م: ۲۳۳/۱۔

۲۷۔ **البداية و النهاية** لابن كثير الحافظ، مكتبة المعارف بيروت، دارابن كثير بيروت ـ لبنان، بدون سنة : ۱۰ / ۱۳۵،
و **تهذيب تاريخ دمشق الكبير** لابن عساكر، الامام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن هبة الله الشافعی ، هذبه و رتبه الشيخ عبد القادربدران ، دار المسيرة ،بيروت ـ لبنان، الطبعةالثانية : ۱۳۹۹ھ/ ۱۹۷۹م : ۲ / ۱٦۷،
و حلية الأولياء : ۳٦۷/۷، و فوات الوفيات : ۱ / ۳ ،
والأعلام : ۱/ ۲٤.

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol 5 No.3 2021

۲۸۔ حلیۃ الأولیاء وطبقات الأصفیاء : ۱۹/۸۔

۲۹۔ حلیۃ الأولیاء : ۱۷/۸۔

۳۰۔ حلیۃ الأولیاء : ۲٤/۸۔

۳۱۔ **الفهرست** لابن النديم ، المطبعة الرحمانية بمصر:۱۳٤۸ھ : ۱/ ۲۲۵ ،
و **وفيات الأعيان و انباء ابناء الزمان** لابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبى بكر، حققه الدكتور احسان عباس، الناشر: منشورات الشريف الرضى ـ قم ـ المطبعة:اميرقم، الطبعة الثانية:۱۳٤٦ھ : ۱/ ۲۱۰،
وحلية الأولياء : ٦/ ۳۵٦ ، و تاريخ بغداد : ۹ / ۱۵۱ ،
و الأعلام : ۳ / ۱۵۸.

۳۲۔ حلیۃ الأولیاء : ۱۱/۷۔

۳۳۔ سورة يونس ، الآية : ۲۳ ـ

۳٤۔ حلیۃ الأولیاء : ۳۵/۷۔

۳۵۔ الأعلام : ۳ / ۲٦۹ ،
و **كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون** لحاجى خليفة، مصطفى بن عبدالله ، نور محمد اصح المطابع كارخانه تجارت كتب، كراتشى : ٤٤۱ ، ۱٦۷۲ . و فيه أنه المتوفى سنة ٤۳٦ .

۳٦۔ وفيات الأعيان : ۱/ ۱۷۷ ، و تاريخ بغداد : ۸ / ۳٤۷ ،
و حلية الأولياء : ۷ / ۳۳۵ ، و الأعلام : ۳ / ۱۱.

۳۷۔ **عيون الأخبار** لابن قتيبة ، ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينورى ، منشورات محمد على بيضون، دارالكتب العلمية بيروت ـ لبنان، توزيع مكتبة عباس احمد الباز المكة المكرمة: ۱٤۱۸ھ / ۱۹۹۸م :۳۱۵/۲۔

۳۸۔ **دراسات في التصوف الاسلامي** لمحمد عبدالمنعم ، خفاجي ، مكتبة القاهرة ، بدون سنة :۱۱٤/۱۔